مؤتمر علم النفس

الحادي عشر [1]

للدكتور مظهر سعيد

عقد مؤتمر علم النفس الدولي الحادي عشر بباريس في ٢٤ يوليه الماضي (١٩٣٧) وظل منعقداً ثمانية ايام متتالية بالسربون . وافتتحهُ المسيو دلبوس وزير الخارجية وختمهُ وزير المعارف المسيو جان زاي . وقد مثل فيهِ نحو ثلاثين دولة وعشرين جامعة ومعهداً علميًّا كبيراً وحضره نحو ثلثمائة عالم اختصاصي في علم النفس كاعضاء عاملين ومائتي اخصائي في العلوم الاخرى المتصلة بعلم النفس وغيرهم من المستمعين كاعضاء منتسبين . ومثلت فيهِ من البلاد الشرقية اليابان والصين والهند ثم مصر لاول مرة في العام الماضي . وقد بلغ من اهتمام الحكومة الفرنسية بهِ دون سائر المؤتمرات الدولية التي عقدت بباريس وهي بالمئات — أن أقام رئيس الجمهورية بقصر الاليزه ووزيرا الخارجية والمعارف ومدير الجامعة ومدير البلدية وعمدة باريس ومكتب المعرض الدولي مأدب متعددة كان الاعضاء فيها موضع الحفاوة والتكريم . ونظمت لهم شركات السكك الحديدية وأقسام المباحث الجنائية وشركات الاجهزة السيكولوجية ورآسة اركان حرب الجيش — زيارات خاصة للمعامل وكذلك مستشفيات الامراض العقلية والعصبية . وتح لهم اللوفر مساء ليرود بأنواره المتجلية وألقى العلماء الاخصائيون محاضرات في سيكولوجية التاريخ والفن والديانات واعدت لهم حفلات تمثيلية خاصة بمسارح الشاتليه وسانت انطوان ومدينة الجامعة مثلت فيها روايات سيكولوجية عامة متصلة بدراسة علم النفس مثل أوديب الملك وهاملت وماكبث وقطع ممتازة من موليير . ودعاهم المعرض لحفلة ساهرة على السين . ولهذا كله أثره الكبير في تعريف علماء النفس بعضهم ببعض واطلاعهم على ما يقومون بهِ من مباحث لم تقدم بعد للمؤتمر وعرض ما تقوم بهِ بلادهم في هذا الشأن . فهو في الواقع يجيء اطيب الفرص للدعاية القومية بطريقة علمية

ولهذا المؤتمر شأن خاص في ميدان البحث العلمي فهو يعقد مرة كل خمس سنوات ليعرض

---

(١) المقتطف : اتفق لاسد اصدقاء المقتطف ان كان يزور الدكتور مظهر سعيد فدار الحديث عن بعض وجوه التقدم في علم النفس فحدث الدكتور مظهر عن مؤتمر علم النفس الدولي الحادي عشر الذي عقد في باريس في يوليو سنة ١٩٣٧ فطلب اليه ان يتحف المقتطف بحديث هذا المؤتمر فلبى . فنحضيه خالص الشكر

فيه العلماء آخر ما وجدَّ في العلم من بحوث ونظريات وما ابتكر من اجهزة وطرائق وبالجملة كل جديد ظهر خلال تلك السنوات. وقد قدم له نحو ثمانية آلاف بحث من مختلف أنحاء العالم لاساطين هذا العلم وجماعة المشتغلين بفروعه العديدة. ومع كثرته لا يمثل الا جانباً العظيم في علم النفس وفروعه المتعددة لان المؤتمر يلزم العلماء ألاَّ يتقدم الواحد منهم اكثر من بحث واحد ذي صورة مختصرة. وقد أخذ المكتب الدائم للمؤتمر وهو مؤلف من خمسة عشر عالماً مختلفي الجنسيات أمثال تورندايك في أميركا وسبيرمان وبيرز وذلتين في انجلترا وبيرون في فرنسا وجانيت وكلاباريد في سويسرا وكنكا وكوهلر في المانيا وبيزو في ايطاليا وغير ذلك من الاسماء العالمية المعروفة — أخذ في دراسة ما قدم له من بحوث زهاء شهرين فأقرَّ منها مائة وثمانية وعشرين فقط طبعت خلاصتها ووزعت على الاعضاء قبل انعقاد المؤتمر لدراستها ومناقشتها. ويخصص لصاحب كل بحث مقبول عشرون دقيقة يشرح فيها بحثه ونظرياته على الاعضاء ثم يناقشونهُ عشرين دقيقة أخرى ويستثني لجنة الدائمة قراراها في البحث بالقبول او الرفض أو الاشارة بالتعديل واعادة العرض في المؤتمر الثاني عشر الذي سيعقد بفينا سنة ١٩٤٩ عدا عدا بحوث اللجان المشكلة من قبل والمناظرات بين العلماء أصحاب النظريات المتعارضة. ولذلك تجد هذا المؤتمر علميًّا بحتاً وجديًّا ومرهقاً لان المؤتمر ينعقد في كل يوم ثماني ساعات كاملة كلها بحوث ومناقشات فلا يتسع فيه الوقت لكلمات الترحيب أو عبارات الشكر وخطب ممثلي الدول عن بلادهم وجهودهم ومبلغ تقوتهم كما يحدث عادة في المؤتمرات الاخرى. بل ان المؤتمر يبدأ بحوثه العلمية بعد خطبة الافتتاح مباشرةً. وكانت البحوث تلقى في معظم الاحيان في قاعات المحاضرات الكبرى الاربع فيسمع بعضون في وقت واحد لكثرتها. ففي الاول العرض النظريات الجديدة البحتة وفي الثانية النظريات المعدلة والتطبيق والثالثة للبحوث الدولية والاجتماعية والرابعة للبحوث الطبية. ولم أحضر في هذا المؤتمر شيئاً لم أعهد لهُ مثيلاً من قبل. ذلك ان المقاعد ركبت فيها سماعات كهربائية تفصل بقرص متحرك يشير الى اللغات المستعملة في المؤتمر. فبتحريك القرص على لغة خاصة يستطيع العضو ان يسمع بها كل ما يقال في القاعة في الوقت الذي يتكلم فيه المحاضر مع انهُ يتكلم بلغة أخرى. ولا يتسع المقام هنا لذكر كل البحوث الهامة التي قدمت لموضوع كتاب خاص سأقوم بوضعه فيما بعد ولذلك اكتفي بسرد بعضها

(١) مشكلة المصطلحات العلمية واختلافها في اللغات المختلفة وضرورة تأليف لجان دولية للبحث في توحيدها. وقد عرضت على اللجنة نماذج من بحوثي في تعريب مصطلحات علم النفس والمعجم الذي أقوم بوضعه بالعربية وأبديت وجهة نظر البلاد العربية فوافقت اللجنة على ضمي اليها وسأرفع تقريري للمؤتمر قبل المقبل. (٢) تعديل قوانين ثورندايك في ضوء بحوث مدرسة الجشتالت. (٣) تعديل بعض الطرق والمدلولات الرياضية المستعملة. (٤) مقاييس جديدة للذكاء

والشخصية والامزجة والكفاية الصناعية . (٥) أجهزة جديدة في مختلف الفروع . (٦) كشف بعض الامور المعقدة في الاضطرابات العقلية وطرق تشخيصها بالاجهزة وعلاجها . (٧) وضع مناهج جديدة لدراسة علم النفس واعادة ترتيب فروع العلم وتدرج مباحثه على أساس جديد

وغير هذا كثير مما يهم كل أستاذ مصري لعلم النفس والفروع المتصلة به . وأرى من الواجب ان تحرص وزارة المعارف المصرية على الاشتراك في هذا المؤتمر وارسال الاساتذة الذين يستطيعون ان يقدموا بحوثاً جديدة هامة يكون في قبولها واقرارها من أكبر هيئة علمية في العالم شرف عظيم لمصر

وقد شرفتني وزارة المعارف بانتدابي لحضور هذا المؤتمر فعرضت النظريات الجديدة التي تضمنها واحد من البحوث الواسعة التي قمت بها في مصر وانجلترا . ومن فضل الله أني وجدت بحثي مطبوعاً وموزعاً مع البحوث المائة والعشرين التي قبلت مبدئياً وازداد سروري عندما تقرر ان يكون بحثي الرابع بين جميع البحوث وذلك الفيد في اليوم الاول بقاعة ريشيليو وهو عرضه والمناقشة فيه تررت اللجنة الدائمة هذا القرار الذي يشرفني ويشرف مصر : « ان هذا البحث مستوفي لجميع الشروط العلمية ونظرياته مقبولة برمتها وفي ضوئه تتضح البراهين القاطعة ان البحوث السابقة التي عالجت هذا الموضوع خاطئة ولا يركن اليها . وسينشر البحث في الكتاب الرسمي للمؤتمر . ولهذه المناسبة أشكر لمعالي وزيرنا المفوض في باريس تهنئته الرقيقة وتشجيعه العظيم وكذلك مندوبي الصحف المصرية الذين بادروا باعلان هذه النتيجة لصحفهم في مصر وجميع الذين عاونوني في البحث بانكلترا ومصر من أساتذة وزملاء وتلاميذ وطلاب فلهم الفضل كل الفضل في نجاحه

ولا يتسع المقام لذكر تاريخ هذا البحث والتجارب التي أجريت والطرائق التي اتبعت فأضمن كل ذلك كتاباً بالانكليزية وآخر بالعربية ارجو ان تساعدني الوزارة بطبعها على نفقتها

ولذلك أكتفي الآن بسرد النظريات والنتائج التي توصلت اليها : —

١ — أثبت بالبرهان القاطع وجود استعدادين طبيعيين مورو ثين مستقلين : أحدهما الاستعداد اللوني ويشمل كافة العمليات العقلية التي تتناول الالوان كالتعرف والتذكر والتعبير والتقدير والمقارنة والحكم . والثاني الشكلي للاشكال وقد ضمنت لهما رموزاً خاصين

٢ — لكل استعداد عامل عام يتناول كل الالوان ويجمعها أو الاشكال عن اختلافي أنواعها . وهذا العامل ليس لهُ أي ارتباط بالذكاء العام . فسرعة تذكر الالوان أو غيرها مثلاً ليس دليلاً على الذكاء العام بأي حال من الاحوال كما افترض العلماء والفلاسفة السابقون حتى العالم الفرنسي بينيا واضع اول أساس لقياس الذكاء . خطأ فجعله تمييز الالوان الاربعة المشهورة مقياساً للذكاء في سن معينة عند الاطفال

٣ — ومع هذا فالاستعداد اللوني بدوره تتبعهُ ستة استعدادات خاصة مستقلة لكل لون من الالوان الرئيسية . فيكون الانسان قوياً في تمييز الالوان الحمراء وضعيفاً في الزرقاء . كذلك

أربعة عوامل أخرى خاصة بدرجات الالوان

٤ — وفي الاشكال كشفت خمسة عوامل مستقلة خاصة للاشكال المنتظمة وغير المنتظمة وذات الخطوط المستقيمة وذات الخطوط المنحنية والاشكال المؤلفة من الاثنين ووضعت لها هذه الرموز

٥ — التمرين على الالوان في التربية الفنية لا ينتقل اثره الى الاشكال واكثر من هذا ان التحسن في مجموعة ألوان لا ينتج تحسناً في مجموعة اخرى ولا التمرين على رسم الاشكال المنتظمة يفيد في رسم الاشكال غير المنتظمة

٦ — الاستعدادات اللونية لا تظهر في الطفل دفعة واحدة وانما لكل منها سن خاصة ينمو فيها ويظهر على أتمه وانبات على العموم اقدر من الاولاد ويصلون الى سن النضوج اللوني قبل الاولاد بسنتين طويلة

٧ — لكل من الجنسين ألوان خاصة يكون استعداده فيها قويًّا عن الجنس الآخر وغير ذلك من النتائج الفرعية . وسيكون لتطبيق هذه النظريات اثر عظيم لا في علم النفس فحسب وانما في التربية الفنية وتشخيص الامراض العصبية وتحليل انواع الشخصية

ويكفيني فخراً وتشجيعاً ان العلماء في اوربا قد اعترفوا بهذه النظريات من سنة ١٩٣١ وأقروها في بحوثهم ومؤلفاتهم واتخذوها اساساً لبحوثهم الجديدة منذ اطلاعهم على النسخ القليلة التي طبعتها بانجلترا سنة ١٩٢٩ وان كان اثر هذا لم يصل لمصر بعد

فهذا الاستاذ الماش يقول في مجلة علم النفس الالمانية سنة ١٩٣٤ ان هذه النتائج تثبت ان البحوث السابقة للعلماء (كاتز ريفيز . فولكلت . كوينبرج) كلها خاطئة في طريقة البحث وان أساس تحليل الشخصية الذي وضعه (جانيش وكريتشمر) يجب تعديله في ضوئها. وقال الدكتور (اويسر) استاذ علم النفس العملي بكامبردج في مجلة علم النفس البريطانية سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٤ وفي مقالة في مجلة (بيكي) بالنص : «ان هذه النظريات التي قدمها سعيد في بحثه القيم هي اصلح اساس لتحليل الشخصية الى نوعيها المنكمش والممتد وانها اصل من طريقة نيمان وكوهلستك . وقد أقرّ الرموز التي وضعها والتجارب التي قمت بها فاستعملها وأعادها ووجدها توصل الى نفس النتائج . وأوصت مدرسة (فورتمبرج) بتعميم استعمال هذه المقاييس على مقياس جمعي واسع وخصوصاً من الناحية الاجتماعية

وأقر الدكتور (وتجويل) الاستاذ بكامبردج النتائج التي وصلت اليها والعوامل التي كشفتها . وذكرها في كتابه «التذكر والتعرف» وقدم لمؤتمر بحثاً جديداً مبنيًّا عليها . ورأى الدكتور (مايرز) رئيس معهد علم النفس الصناعي البريطاني ان اسهم الطريقة التي ابتكرتها لتمرين ذاكرة الالوان والاشكال على جميع مدارس الفنون . وسيقوم المعهد (وأنا من اعضائه) بتطبيقها

ويسرني بعد كل هذا أني استطعت ان أقدم للادي شيئاً يشرفها ومعدنا مؤتمر فينا سنة ١٩٤١ البحث الآخر باذن الله